من أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى: الاعتداء الجسدي.

بحث في السيرة

إعداد أ/ محمد الجوهري
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
waleed.eltantawy@mediu.edu.my

خلاصةـــ***هذا البحث يبحث في أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى : الاعتداء الجسدي.***

الكلمات الافتتاحية: الاعتداء، الصد عن دين الله.

I. *المقدمة*

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول اللّه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد أخي الطَّالب، سلامٌ من الله عليكَ ورحمةٌ منه وبركات، ومرحباً بك في سلسلة الدُّروس المقرَّرة عليك في إطار مادّة السيرة النبوية، لهذا الفصل الدّراسيّ، آملينَ أن تجدَ فيها كلّ المُتعة والفائدة، في هذا الدرس نتعرف على أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى ومنها: الاعتداء الجسدي.

II. موضوع المقالة

أولاً: الاعتداء الجسدي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

على الرّغم مِن مكانة الرسول - صلى الله عليه وسلم الاجتماعية، وحماية عمّه له، وعدم تجرُّؤ قريش على اقتحامه، فإنّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تعرّض للأذيّة في نفسه، وفي أهل بيته، على يد كفار قريش.

فقد روى مسلم وغيره، عن أبي هري رة -رضي الله عنه-، قال: قال أبو جهل : هل يُعفّر محمد وجهه بيْن أظهركم؟ قال : فقيل: نعم. فقال :واللاّت والعزّى ! لئن رأيته يفعل ذلك، لأطأنّ على رقبته ! أو لأعفرنّ وجهه في التراب!. قال: فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو يصلّي. زعم ليطأ على رقبته .قال: فما فاجأهم منه إلا وهو ينْكص على عقبيْه، وينفي بيديه . قال: فقيل له مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً مِن نار، وهولاً وأجْنحة!

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((لو دنا منّي، لاخْتطفتْه الملائكة عضواً عضواً)) قال: فأنزل الله تعالى: {كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} إلى آخر السُّورة.

وروى البخاريّ: أنّ عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يُصلّي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكرٍ حتىَّ دفعه عنه -صلى الله عليه وسلم-، فقال: "أتقتلون رجلاً أن يقول ربيِّ الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟."

وزاد بعضهم: فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- صلاته، مرّ بهم وهم جلوس في ظلّ الكعبة، فقال: ((يا معشر قريش! أما والذي نفسي بيده! ما أُرسِلتُ إليكم إلاّ بالذّبْح! وأشار بيده إلى حلْقه))، فقال أبو جهل: يا محمد ما كنتَ جهولاً. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم:- ((أنت منهم.))

وروى الشيخان، عن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: ((ما رأيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا على قريش غير يوم واحد؛ فإنّه كان يصلّي، ورهط مِن قريش جلوس، وسلا جزور نُحرت بالأمس قريباً، فقا لوا: مَن يأخذ سلا هذا الجزور، فيضعه على كتفَي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقاهم : عقبة بن أبي معيط، فجاءه فقذفه على ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم . فضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، والنبي - صلى الله عليه وسلم- ما رفع رأسه. وجاءت فاطمة -رضي الله عنها-، وطرحتْه عن ظهره، ودعت على مَن صنَع ذلك. فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- صلاته رفع رأسه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم دعا عليهم . وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً . ثم قال: اللهم عليك بالملإ مِن قريش ! اللهم عليك بأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأميّة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط. وذكر السرّابع، فلم أحفظه. فوالذي بعثه، لقد رأيت الذين سمَّى صرْعى ببدر، ثم سُحبوا إلى القليب - قليب بدر- غير أمية بن خلف، فإنه كان رجلاً بادناً، فتقطّع قبل أن يبلغ به إليه)).

وروى أنس بن مالك - رضي الله عنه-: أنّ المشركين ضربوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم حتى غُشي عليه، فقام أبو بكر - رضي الله عنه -، فجعل ينادي : "أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ وقد تجرّأت قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بعد موت عمّه في السّنة العاشرة .

وقد روى الدارقطني، عن عمرو بن عثمان بن عفان، عن أبيه، قال: أكثر ما نالت قريش من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاة عمّه .

وهذا يدلّ أنه ربما تعرّض قبْل موته للأذيّة في سبيل الله. وذكر ابن إسحاق وغيره، قال : لمّا مات أبو طالب، نالت قريش من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مِن الأذى ما لمْ تطمع فيه في حياة أبي طالب .

وروى ابن سعد قال: لمّا توفِّي أبو طالب وخديجة، اجتمع على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مُصيبتان، فلزم بيْته، وأقلّ الخروج. ونالت قريش منه ما لم تكن تنال منه، ولا تطمع فيه. فبلغ ذلك أبا لهب، فجاء فقال: يا محمد، امض لما أردْت، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعْه ...

وسبّ ابن الغيطلة النبي - صلى الله عليه و سلم-، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه . فأقبل يصيح: صبأ أبو عتبة. فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب، فقال: ما فارقت دين عبد المطلب، ولكن أمنع ابن أخي أن يُضام ح تى يمضي لما يريد. قالوا: قد أحسنت، وأجملت، ووصلت الرحم .

فمكث -صلى الله عليه وسلم- أياماً لا يعترض له أحدٌ منهم بسوء، وهابوا أبا لهب، إلى أن جاء عقبة بن أبي معيط، فأراد هو وأبو جهل إحداثَ القطيعة من جديد بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأبي لهب. فقالوا لأبي لهب :اسأله عن مصير عبد المطّلب؟ إنه يقول بأنه في النار. فقال أبو لهب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أيدخل عبد المطّلب النار؟ قال: ((نعم. ومَن مات على مثْل ما مات عليه)) فقال أبو لهب : لا برحتُ لك عدواً، وأنت تزعم أنّ عبد المطّلب في النار.

وكان له - صلى الله عليه وسلم- مجموعةٌ مِن الجيران يؤذونه ويؤذون بناته، وكانوا يطرحون في بُرْمَته إذا نصبت، رحم الشاة، ويضعون القاذورات أمام بيته، ويرمونه بالحجارة وهو في بيته -صلى الله عليه وسلم-، حتى اتخذ حجراً يستتر به منهم إذا صلى .

وكان مِن أشدّ جيرانه له أذيّة : أبو لهب، وزوجته العوراء، وعقبة بن أبي معيط، والحكَم بن أبي العاص، وابن الأصداء الهذلي، وعدي بن الحراء .

وقام عتيبة بن أبي لهب بشقّ قميص رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فدعا عليه -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((اللّهمّ سلّط عليه كلباً مِن كلابك)) فأكله السَّبُع و هو بالزرقاء في بلاد الشام.

ثانياً: الاعتداء الجسديّ على الصحابة -رضوان الله عليهم-

أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- تعرّض للأذيّة، حتى فكّر في الهجرة إلى الحبشة، فراراً بدينه.

وقد خطب أبو بكر يوماً في المسجد الحرام، فقاموا عليه وضربوه حتى سقط أرضاً . ورُفع إلى بيته، وكلّ الناس يرى أنه قد مات. ولم يخلص منهم إلا قومه بنو تيم.

وكان عبد الله بن مسعود أوّل مَن جهر بالقرآن في مكة بعد رسول -صلى الله عليه وسلم-، فضربه المشركون في وجهه حتى أثّروا فيه.

وكان عمّ عثمان بن عفان يلفّه في حصير مِن جريد النخل، ويدخّن مِن تحته . وأوثقه عمّه، وأقسم أنْ لا يحلّ وثاقه حتى يعود عن إسلامه. فأقسم عثمان على عدم ترْك الإسلام.

ولمّا علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه، أجاعته وأخرجته مِن بيتها، وكان مِن أشد الناس تَنَعّماً؛ فتخشف جلده تخشّف الحية، حتى حمَله أصحابه على قسيّهم لشدة ما به مِن الجهد والإعياء.

والزبير بن العوام كان عمّه يعلّقه في حصير، ويدخّن عليه النار، ويطالبه بالرجوع إلى الكفر. فيقول الزبير: "لا أكفر أبداً!".

وممّن تعرّض للتعذيب، بل لعلّه نال م نه ما لمْ ينلْه غيْرهم : الموالي الذين لا مُدافع عنهم، مثل: آل ياسر . وكان يُضرب بهم المَثل فيما لاقَوْه مِن الابتلاءات . فقد كان بنو مخزوم يخرجون بهم إذا حميَت الظهيرة، فيعذبونهم برمضاء مكة.

أمّهم: سُميّة بنت خياط، مولاة أبي حذيفة المخزومي، كانت سابعة سبعة في الإسلام، عذّبها أبو جهل وطعنها في قُبُلها بحَرْبة فماتت. وكانت أوّل شهيدة في الإسلام.

وزوجها: ياسر: وهو مِن أوائل مَن أسلم، قال مجاهد : "أول مَن أظهر الإسلام سبعة : رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، وسُميّة . فأما رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبو بكر منَعَهما قومُهما، وأمّا الآخرون : فألبسوا أدرع الحديد، ثم صُهروا في الشمس".

وأصل ياسر مِن اليمن، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، وزوّجه أمَته : سُميّة. ومات ياسر في العذاب، وكذلك رُمي ابنه عبد الله فمات . وقد مر -صلى الله عليه وسلم- على آل ياسر يعذّبون، فقال لهم : ((صبراً آل ياسر ! إنّ موْعِدكم الجنة !)). وتفننوا في إيذاء عمار حتى أجبروه أنْ يتلفظ بكلمة الكفْر بلسانه . وذكَر المفسّرون أنّ سبب نزول قول الله تعالى : {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ } هو موقف عمار بن ياسر.

بلال -رضي الله عنه- . كان بلال بن رباح مولى لبعض بني جمح، وكان حبشياً، وقيل : نوبياً. وكان مولاه : أميّة بن خلف، يُخرجه إذا حميَت الظهيرة، فيطرحه على ظهْره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة الع ظيمة فتوضَع على صدره، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللاّت والعزّى . وهو يقول في ذلك العذاب : " أحد! أحد!".

وعن عمرو بن العاص، قال : "مررت ببلال وهو يعذَّب في الرمضاء، ولو أن بضعة لحم وضعت عليه لنضجت، وهو يقول: "أنا كافر باللات والعزّى"، وأمية مغتاظ عليه، فيزيده عذاباً.

وعندما رآه أبو بكر - رضي الله عنه- في هذه الحالة، ساوم سادَته على شرائه، فاشتراه وأعتقه.

وذكر البلاذري: أن أبا بكر اشتراه بخمس أواق، وهو مدفون بالحجارة . وفي الصحيحين: أنّ بلالاً قال لأبي بكر : "إن كنتَ إنما اشتريْتني لنفسك، فأمسكني، وإن كنت اشتريتني لله فدعني، وعملي لله".

خباب بن الأرت : أصله مِن تميم، سُبِيَ في الجاهلية فبيع بمكة، وكان مولى لأمّ أنمار الخزاعية. كان يعمل حداداً يصنع الأسنّة والسيوف . وكان مِن السابقين الأوّلين إلى الإسلام.

وعندما أظهر إسلامه، لاقى صنوفاً شتّى مِن العذاب، في المال والنفس؛ فمَنعوا منه ماله . وكانوا يأخذون بشعر رأسه ويجذبونه جذباً، ويضجعونه على صخور ملتهبة، ثم يضعون حجارة على صدره حتى لا يقوم. وأوقدوا له ناراً وأوضعوه عليها.

وفي الصحيح عن خباب، قال : " شكوْنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ، وهو متوسّد ببُردة له في ظل الكعبة، قلنا له : ألا تستنصر لنا؟ قال : ((كان الرجل فيمَن قبْلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعل فيه . فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتيْن؛ وما يصدّه ذلك عن دينه . والله ليتمّنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب مِن صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه؛ ولكنكم تستعجلون!)).

ومِن المستضعفين: حمامة، وإلدة بلال، وعامر بن فهير ة، وأم عُبيس، والنهدية وابنتها، وجارية بني عديّ التي كان يعذّبها عمر بن الخطاب قبل أن يُسلم، وجارية بني نوفل . وقد أعتقهم جميعاً أبو بكر الصديق - رضي الله عنه-، واشتراهم مِن مالِه - رضي الله عنه وأرضاه-.

وهكذا عُذّب المسلمون في دين الله تعالى، ولكنهم صبروا، بل ازدادوا تمسكاً بهذا الدين الذي ارتضاه الله -تبارك وتعالى- للناس.

المراجع والمصادر

١. الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م.
٢. السهيلي: الروض الأنف، تحقيق: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.
٣. المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٥هـ.
٤. سيد الناس: عيون الأثر، ابن الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٩م.
٥. محمد بن يوسف الصالحي: سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مجمع البحوث الإسلامية –القاهرة ١٩٧٣م.
٦. ناصر الدين الألباني : نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، المكتب الإسلامي ١٩٥٢م.
٧. القسطلاني : شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية، المطبعة الأزهرية ١٩١٠م.
٨. ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة والنشر ١٩٩٨م.
٩. عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام– دار الكتب العلمية – ١٩٩٦م.
١٠. صفي الرحمن المباركفوي: الرحيق المختوم، دار الشرق العربي ٢٠٠٣م.
١١. الأزرقي: تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة خياط ١٩٧٠م.
١٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الكتب العلمية ٢٠٠٤م.
١٣. محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : دار القلم ١٩٩٦م.
١٤. عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية ١٩٧٣م.
١٥. الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية ١٩٨٠م.
١٦. -محمد سعيد البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، الطبعة العاشرة ٢٠٠٢م. ٤

ابن هشام الأنصاري ، عبد الملك بن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م